أخبار يزيد حوراء

ولاؤه وطبقته فى الغناء

هو رجل من أهل المدينة . ثم من موالى بنى لَيث بن بَكْر بن عبد مَناة ابن كِنانة . ويُكنى أبا خالد . مُغنٍّ محسن كثير الصَّنعة . من طَبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ . وكان ممن قَدِم على المهدىّ فى خلافته وغنّاه . وكان حسنَ الصَّوت حُلْو الشمائل .

غنى المهدى فى شعر أبى العتاهية فى عتبة

وذُكر أنه كان صديقاً لأبى العتاهية . فقال أبو العتاهية أبياتاً فى أمر عُتبة يتنجّز بها المهدىَّ ما كان وعده إيّاه من تَزويجه بها ، فإذا وَجد من المهدىّ طِيب نفس غنّاه بها ، وهى :

ولقد تَنَسَّمتُ الرِّياح لحاجتى ... فإذا لها من راحتَيْك نَسيمُ
أعلقتُ[1] نفسى من رَجائك ماله ... عَنَقٌ إليك يَخُبّ بى[2] ورسيمُ
ورَميتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك[3] ناظِرى ... أَرْعَى مخايلَ بَرْقها[4] وأَشِيمُ
ولربما استيأستُ ثم أقول لا ... إنّ الذى وعَد[5] النَّجاح كريمُ

فَصنع فيه لحناً وتوخَّى لها وقتاً وجد المهدىَّ فيه طيِّبَ النَّفس ، فغنّاه به . فدعا بأبى العتاهية وقال له : أمّا عُتبة فَلا سبيلَ إليها ، لأن مولاتَها قد مَنعت منها[6] ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيراً من عُتبة . فَحُملت إليه وأُنصرف .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أشربت » .

(٢) العنق والوسيم : ضربان من ضروب السير .

(٣) الجود ، بالفتح : المطر الغزير . ويصح أن يكون بضم الجيم . والذى فى زهر الآداب : « صوبك » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « برقه » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ضمن » مكان « وعد » .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « من ذلك » مكان « منها » .

وكان أبو العتاهية قبل ذلك قد سأل يزيدَ حَوْراء أن يكلِّم المهديَّ فى أمر عُتبة . فقال : إن الكلام لا يُمكننى ، ولكن قُل شعرا أُغنِّيه به . فقال :

نَفْسى بشىء من الدُّنيا مُعلَّقةٌ ... الله والقائمُ المَهْدىُّ يَكْفيها
إنّى لأيأسُ منها ثم يُطْمعنى ... فيها احتقارُك للدُّنيا وما فيها

قال : فعملتُ فيه لحناً وغنّيتُه به . فقال : ما هذا ؟ فأخبرتُه خبرَ أبى العتاهية . فقال : نَنْظر فيما سأل . فأخبرتُ بذلك أبا العتاهية . ثم مَضى شهرٌ فجاءنى فقال : هل حَدث خبر ؟ فقلتُ : لا . قال : فاذكرنى للمهدىّ . فقلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه به وتُذكِّره وعدَه حتى أُغنِّيه به . فقال :

ليت شِعرى ماعندكم ليت شِعْرى ... فلقد أُخِّر الجوابُ لأَمرِ
ما جوابٌ أولى بكُلّ جَميل ... من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شَهر

قال يزيدُ : فغنَّيتُ به المهديَّ . فقال : علىَّ بعُتبة . فأُحضرتْ . فقال : إن أبا العتاهية كلَّمنى فيك ، فما تقولين ، وعندى لك وله كل ما تُحبّان مالا تبلغهُ أمانيكما ؟ فقالت له : قد علم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله علىَّ من حقّ مولاتى ، وأُريد أن أذكُرَ هذا لها . قال : فافْعلى . وأعلمتُ أبا العتاهية . ومضتْ أيّام . فسألنى معاودة المهديّ . فقلتُ : قد عرفتَ الطريقَ فقُل ماشئت حتى أُغنِّيه به . فقال الأبيات الميمية المُتقدمة[1] . قال يزيد : فغنَّيتُه الشعر . فقال : علىّ بعُتبة . فجاءتْ . فقال : ما صنعتِ ؟ فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتى فكرهتْه وأبتْه ، فَلْيفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد . فقال : ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك . فقال :

قَطَّعْتُ منكِ حبائلَ الآمالِ ... وأَرحتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ

(١) انظر (ص ٤٠٧) من هذا الجزء .

ما كان أشأمَ إذ رجاؤُك[1] قاتِلِي و بناتُ وَعْدك يَعْتلجْن[2] ببالِي
ولئن طمعتُ لَرُبَّ بَرقةِ خُلَّبٍ مالتْ بذى طَمَع ولَمعــــة آل

وحَكى يزيدُ حوراء قال : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قُريش ، فكانت تمرُّ بى جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغناء ، فقلت لها يوماً : أفهمى وردِّى جوابى وكونى عند ظنّى . فقالت : هاتِ ما عندك ؟ فقلتُ : بالله ما اسمُك ؟ فقالت : مُمنَّعة . فأطرقتُ طِيَرةً[3] من اسمها ، مع طَمعى فيهـا . ثم قلت : بل باذلة أومبذولة[4] إن شاء الله ، فاسمعى منّى . فقالت : وهى تَبْتسم ، إن كان عندك شىء فقُل . فقلت : هو وجارية أحبها

لِيَهْنك[5] منّى أننى لستُ مُفْشِياً هواكِ إلى غيرى ولو مِتُّ من كَرْبِ
ولا مانِحاً خَلْقاً ســـواكِ مودّتى ولا قائلاً ما عشْتُ من حُبّكم حَسْبى

قال : فنظرت إلىّ طويلاً ثم قالت : أَنشُدك الله ، أعن فرط مَحبّة أم اهتياج غُلْمة تكلمتَ ؟ فقلت : لا والله ، ولـكن عن فَرط محبة . فقالت :

فوالله ربِّ النـاس لا خُنْتك الهَوَى ولا زلْتَ مخصوصَ المحبّـة من قَلْبى
فثِقْ بى فإنّى قد وثقْتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أَظْهَرْتَ لى يا أخا الحُبِّ

قال : فوالله لـكأنما أضرمتْ قلبى ناراً . فـكانت تلقانى فى الطَّريق التى كانت تَسلُـكه فتحدّثنى وأتفرّج[6] بها . ثم اشـتراها بعض أولاد الخُلفـاء . فـكانت تُـكاتبنى وتلاطفنى دهراً طويلاً .

---

(١) فى زهر الآداب : « قادنى » مكان « قاتلى » .
(٢) يعتلجن : يخطرن . (٣) طيرة : شؤما .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ومبذولة » .
(٥) المسموع : ليهنئك » و « ليهنيك » وعدوا « ليهنك » من كلام العامة . وقال الزبيدى : إنها وردت فى صحيح البخارى .
(٦) أتفرج بها ، أى أصير بها ذا فرج .

وحكى عبدُ الله بن العبَّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال :

من صفته

كان يزيدُ حَوراء نَظيفاً ظريفاً حسَن الوجه شَكِلًا[1]، لم يَقْدَم علينا من الحجا أَنْظَفُ منه ولا أشكل ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلة لا تراها فى أحد إلّا رأيتَها فيه ، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلىّ على ابن جامع ، فكان إبراهيم يَرْفع منه وينبِّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبْعث ابنه إسحاق فيأخذُ عنه .

موته ورثاء أبى مالك له

وكان صديقاً لأبى مالكٍ التَّميمى الأعرج لا يكاد يفارقه ، فمَرض مرضاً شديداً واحتُضر ، فاغتَمّ عليه الرشيدُ وبعث بمَسرورٍ مراتٍ يسأل عنه . ثم مات . فقال أبو مالك يَرْثيه :

لم يُمتَّع من الشَّباب يزيدُ ... صار فى التُّرب وهو غَضٌّ جديدُ
خانَه دهرُه وقابَله منـ ... ـه بنَحْسٍ ودابَرته[2] السُّعود
حين زُفت دُنْياه من كُلّ وَجْهٍ ... وتَدانَى منها إليه البعيد
فكأنْ لم يكُنْ يزيدُ ولم يشْـ ... ـجُ نَديمًا يَهُزُّه التَّغْريد

(١) شكل : ذو دل وغزل .
(٢) دابرته : ولته دبرها ولم تقبل عليه .

أخبار عكّاشة العمّى

أصله وأصل قومه

هو عُكّاشة بن عبد الصّمد . من أهل البَصرة من بنى العمّ . وأصل بنى العمّ كالمَدفوع ، يقال: إنهم نَزلوا فى بنى تَميم بالبصرة فى أيام عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلموا وغَزَوْا مع المُسلمين وحُمد[1] بلاؤهم . فقال النـاسُ لهم : أنتم وإن لم تكونوا من العرب ، إخواننا وأهلنا ، فأنتم الأنصار والإخوان و بنو العمّ . فلُقِّبوا بذلك . فصاروا فى جملة العرب .

مكانته فى الشعر

وعُكّاشة شاعر مُقل من شُعراء الدولة العباسية ، ليس ممن شُهر وشاع شعره عند الناس ، ولا ممّن خَدم الخُلفاء ومَدحهم .

شعر فى امرأة هويها

وكان يَهوى أمرأة يقال لها : نُعيم . وله فيها :

علامَ حبلُ الوفاء[2] مُنصرمُ ... وفيمَ عنّى الصُّدود والصَّممُ
يا ربِّ خُذ لى من الوُشاة إذا ... قاموا وقُمنا لديك[3] نَخْتَصم
من حَلَّ[4] حَبْل الوفاء سيِّدتى ... مِنكِ ومَن سامنى له العَدَم
قد عِيل صَبْرى وأنتِ لاهيةٌ ... عنّى وقَلبى عليكِ يَضْطرم
دَبُّوا إليها يُوسوسون لها ... كى يستزلُّوا حَبيبتى زَعموا
هيهات مِن ذاك ضَلَّ سعيهمُ ... ما قلبها المستعارُ يُقْتَسم
يا حاسدينا موتُوا بغيظكمُ ... حَبْلى متينٌ بقولها نَعَم
بالله لا تُشْمتى العُداةَ بنا ... كُونى كقَلْبي فلستُ أتّهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وحسن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « الصفاء » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إليك » مكان « لديك » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « جد » مكان « حل » .

وله فيها من أبيات يصف مجلساً كان له معها :

إذا نحن نُسْقاها شمولاً قَرْقَفا ... تَدع الصَّحيحَ بعَقْلة مُرْتابَا
حَمْراء مثل دمِ الغَزال وتارةً ... بعد المِزاج تخالُها زِرْيابا
من كفِّ جاريةٍ كأنّ بنانها ... من فِضَّة قد قُمِّعتْ عُنَّابا
والعودُ مُتَّبِعٌ غِناء خَريدةٍ ... غَرِداً يقول كما تقول صَوابا
وكأنّ يُمناها إذا نَطقتْ به ... تُمْلي[1] على يدها الشِّمالِ حِسابا

هو والمهدى وقد أراد حده

وذُكر أن عُكّاشة أنشد المهديّ قولَه فى الخمر :

حَمراء مثل دَم الغزَال وتارةً ... عند[2] المِزاج تخالُها زِرْيابا

فقال له المهديّ : لقد أحسنتَ فى وَصْفها إحسان من قد شربها ، ولقد أستحققتَ الحدَّ . فقال : أيؤمِّنني أميرُ المُؤمنين حتى أتكلّم بحُجتى ؟ فقال : قد أمّنتك . قال : وما يُدريك يا أمير المُؤمنين أننى أحسنتُ وأجدتُ صِفَتها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال المهديُّ : اعْزب قَبحّك الله .

من شعره

ومن جَيِّد شعره قولُه :

وجاءوا إليه بالتَّعاويذ والرُّقى ... وصَبُّوا عليه الماء من شِدة[3] النُّكْسِ
وقالُوا به من أَعين الجنِّ نَظرةٌ ... ولو صَدقُوا قالوا به أعيُنُ الإنْس

وقال أيضاً :

طَرْفى يذُوب وماء طَرفِك جامدُ ... وعلىّ من سِيما هواكِ شَواهدُ
هذا هواكِ قَسمتِه بين الورى ... ومنحتِنى أرقاً وطَرفُكِ راقد
فعليّ منه اليومَ تسعةُ أسْهُمٍ ... وعلى جميع الناسِ سَهمٌ واحد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « تلقى » مكان « تملى » .
(٢) فيما مر : « بعد » .
(٣) النكس ، بضم النون : العود فى المرض .

ذِكْرُ الحَادِرَة (*)

نسبه ولقبه

وهو قُطْبة بن أوس بن مِحْصَن بن جَرْول بن حَبيب الغَطفانى ، ثم المازنى . والحادرة ، والحُويدرة : لقبان له .

بعض شعره

وهو شاعر جاهلىّ مُقِلّ . ذكر أبو الفرج شيئاً من أخباره وأشعاره . ولم أرتض شيئاً منها . والشِّعر الذى يُغنَّى به وافتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

بكرتْ سُمَيَّةُ غُدوةً فتمتَّعى ... وغدتْ غُدوَّ مُفارق[1] لم يَرْبَعِ

وتعرَّضتْ لك فاسْتبَتْكَ[2] بواضحٍ ... صَلْتٍ كمُنتَصِّ الغَزال الأَتْلَع

وهذا من قصيدة ، منها :

أَسُمَيّ ما يُدْريك كم من فِتْيةٍ ... باكرتُ[3] لذَّتهم بأدكن مُتْرَعِ

بَكَروا علىَّ بسُحرة فصَبَحتُهم ... من عاتقٍ كَدَمِ الذَّبيح[4] مُشَعْشَع

وذكر بعضُ أهل المدينة أنه كان حسّان بن ثابت الأنصارى رحمه الله ، إذا تُنوشدت الأشعار فى موضع كذا وكذا ، يقول : فهل أُنشدت كلمة الحُويدرة :

* بكرتْ سُمَيَّة غدوةً فتمتّعى *

قيل : هذه القصيدة من مُختار الشِّعر ، أَصمعية مُفضَّلية[5] .

(*) أسقط ابن واصل قبل أخبار الحادرة « أخبار عبد الرحيم الدفاف ». وهو مغن كان فى أيام الرشيد . ولم يورد له أبو الفرج غير كلمات قليلة .

(١) فتمتعى ، يخاطب نفسه . أى تمتعى منها قبل فراقها . ولم يربع : لم يقم .

(٢) استبتك : غلبتك . والواضح الصلت ، أى عنقها الطويل . والمنتص : المنتصب .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «بادرت» مكان « باكرت » . والأدكن المترع ، يعنى الزق .

(٤) المشعشع : المرقرق .

(٥) أى ذكرها الأصمعى فى أصمعياته . والمفضل فى مفضلياته .

أخبار ابن مسجح

نسبه و منزلته فى الغنـــاء

هو سَعيدبن مِسْجح ، أبو عُثمان، مولى بنى جُمَح . وقيل : مولى بنى نَوفل بن الحارث بن عبد المُطلب . مكّى أسود ، مُغنٍّ متقدّم من فُحول المُغنّين وأكابرهم ، ومن أول مَن صنع الغِناء منهم . ونَقل غِنـاء الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشأم فأَخذ ألحان الرُّوم وتعلَّم منهم الضَّرب ، ثم قَدم الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغم . وأَخذ عنه عُبيد بن سُريج ، وأخذ الغريضُ عن ابن سُريج .

سبب تعلمه الغناء

وقيل : لمّا حُصِر ابنُ الزُّبير بمكة ، وهو الحصار الأول فى زمن يزيدَ بن مُعاوية ، سمع ابنُ الزُّبير أصواتاً من الليل فوق الجبـل ، فخاف أن يكون أهل الشأم قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماء ذات رِيح صَعبة ورعد و برق ، فرفع ناراً على رأس رُمح لينظُر إلى النـاس . فأطارتْها الرِّيح فوقعت على أستار الكعبة فأَحرقتها ، واستطالت فيها ، وجَهد الناسُ فى إطفائها فلم يقدروا . فأصبحت الكعبة تتهافت[1] . وماتت امرأة من قُريش، فخَرج الناسُ كلّهم فى جنازتها خوفاً من أن ينزل العذابُ عليهم . وأصبح عبدُ الله بن الزُّبير ساجداً يدعو و يقول : اللهم إنّى لم أعتمد ما جَرى ، فلا تُهلك عبادَك بذَنبى ، وهذه ناصيتى بين يَدَيْك . فلما تعالى النّهار أَمِن وتراجع الناسُ ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن يَنْهدم فى بيت أحدكم حجرٌ أو ينزل عن مَوضعه فيبنيَه و يصلحـه وأترك الكعبةَ خراباً . ثم هَدم الكعبةَ مُبتدئاً بيده ، ثم تَبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا قواعد إبراهيم عليـه السلام . ودعا ببنّائين من الفُرس والرُّوم فبناها . وكانوا يبنون الكعبة و يتغنَّون بالفارسيَّة ، فسمع ابنُ مِسجح ذلك ، فتعلَّم الغِناء منهم .

(١) تتهافت : تتساقط حجرا حجرا .

للمؤلف فى هدم ابن الزبير الكعبة

قلت : لمّا هدم ابنُ الزُّبير الكعبة أدخل فيها الحجر ، وجعل لها بابَيْن متقابلَين يُدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وذلك لحديثٍ بلغه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو أنه قال عليه السلامُ لعائشة رَضى الله عنها : لولا أن قومك حديثُو عهد بالكُفر لأدخلتُ الحجر فيها ، وجعلتُ لها بابَين يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر . و بقى الأمرُ على ذلك إلى آخر أيام ابن الزُّبير ، فلما قُتل وُصف الأمر لعبدِ الملك بن مروان ، ووَلى الحجازَ الحجّاجُ بن يوسف ، هَدم الحجاجُ الكعبة ثانياً وأَخرج منها الحجر وأبقى لها باباً واحداً ، على الأمر الذى كانت عليه فى زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ولم يَعرض للكعبة شرّفها الله بعد ذلك شيءٌ إلى سنة سَبْعَ عشرة وثلثمائة ، فى خلافة المُقتدر ، فقَصدها أبو طاهر القَرْمطىّ الجَنّابى[1] ، لعنه الله ، صاحب هَجر ، فى الموسم ، فقَتل الناسَ فى الطَّواف وأَلقى جُثث القَتلى بزَمزم ، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى هَجر ، و بَقى عنده إلى أن هَلك ووَلِى أولادُه . ثم اشتُرى منهم بمبلغ كبير ورُدّ إلى مَوضعه[2] .

اتصاله بعبد الملك

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان بلغه أن عبداً أسود يقال له : سَعيد بن مِسجح ، قد أَفسد فِتيان قُريش وأَنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إلى عامله بمكة : أن اُقبِض ما لَه وسيِّره . ففَعل . فتوجّه اُبنُ مسجح إلى الشأم . فلما دَخل مسجدَها سأل : مَن أخصُّ الناس بأمير المؤمنين ؟ فقيل : هؤلاء النَّفر من قُريش و بنى عَمِّه . فوقف عليهم وسلّم . ثم قال : يا فِتيان ، هل فيكم من يُضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنَظر بعضُهم إلى بعض ، وكان عليهم مَوعدٌ أن يذهبوا إلى قَينة يقال لها : « بَرْق الأُفق » فتثاقلوا به إلّا فتًى منهم تذمَّم[3] . فقال له : أنا أُضيفك ، وقال

---

(١) هو أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى ، زعيم القرامطة . ينسب إلى جنابة ، بلد فى فارس . مات سنة ٣٣٢ هـ . (٢) كان ذلك سنة (٣٣٩ هـ) أيام المطيع لله .

(٣) تذمم : خشى الذم واللوم .

لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضَيفى . قالوا : بل تجىء معنا أنت وضيفُك . فذَهبوا جميعاً إلى بيت القَينة . فلما أُتُوا بالغَداء ، قال لهم سَعيد : إنى رجلٌ أسودُ . ولعلّ فيكم من يَقْذَرُنى ، فأنا أجلس وآكل ناحيةً ، وقام . فاستَحْيوا منه وبعثوا إليه بما يأكل . فلما صاروا إلى الشَّراب قال لهم مثلَ ذلك فى أمر الشراب . ففعلوا به كذلك . وأخرجوا جاريتَين فجَلستا على سَرير قد وُضع لهما . فغنَّتا إلى العشاء ، ثم دَخلتا . وخَرجتْ جاريةٌ حسنةُ الوجه والهيئة ، وهى معهما ، فجلستا أسفل السَّرير عن يمينه وشماله ، وجلستْ هى على السَّرير . قال ابنُ مِسجح : فتمثّلت هذا البيتَ :

فقلتُ أشَمْسٌ أم مَصابيحُ بِيعةٍ بدتْ لكَ خلفَ السِّجف أم أنت حالمُ

فغضبتْ الجاريةُ وقالت : أيَضْرب مثلُ هذا الأسود بى الأمثال ! فنظروا إلىَّ نظراً مُنكراً . ولم يزالوا يسكِّنُونها . ثم غنَّت صوتاً . فقال ابنُ مِسجح : أحسنتِ والله ! فغضِب مولاها وقال : أمثل هذا الأسود يُقْدِم على جاريتى ! وقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قُم فانصرف إلى منزلى ، فقد ثَقُلت على القوم . فذهبتُ أقوم ، فتذمّم القومُ وقالوا : بل أَقم وأَحْسن أدبك . فأقمتُ ، وغنَّت . فقلتُ : أخطأتِ والله يا زانية وأسأتِ ! ثم اندفعتُ فغنَّيت الصوتَ . فوثبت الجاريةُ وقالت لمولاها : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجح ! فقلتُ : إى والله أنا هو ، ووالله لا أُقيم عندكم . فوثب القرشيّون ، فقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : بل عندى . فقلت : والله لا أُقيم إلا عند سيّدكم — يعنى الرجلَ الذى أنزله منهم — وسألوه عما أقدمه ، فأخبرهم . فقال له صاحبه : إنى أسمرُ الليلةَ مع أمير المومنين ، فهل تُحسن أن تَحْدُوَ ؟ قلتُ : لا والله ، ولكنّى أستعمل[1] حُدَاء . قال له : فإنّ منزلى بحِذاء مَنزل أمير المُؤمنين ، فإذا

(١) فى الأصل : « أصنع » .

وافقتُ منه طِيب نَفس أرسلتُ إليك . ومضَى إلى عبد الملك بن مَروان ، فلما رآه طيِّب النَّفس أرسل إلى ابن مِسجح ، فأَخرج رأسه من وراء شُرَف القَصر وحَدَا . فقال عبدُ الملك للقُرشىّ : مَن هـذا ؟ قال : رجلٌ حجازىّ قَدم علىّ . قال : أَحضرْه . فأَحضرَه . فقال له : أُحْدُ . فَحدا . ثم قال له : هل تغنِّى غِناء الرُّكبان ؟ قال : نعم . قال : غَنِّه . فغنّى . فقال له : هل تُغنى الغناء المُتْقَن ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فغنَّى . فاهتزّ عبدُ الملك طرباً ثم قال له : أُقسم إنّ لك فى القوم اسماً كبيراً[1] ، من أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المَظلوم، المَقبوض مالُه المُسيَّر عن وطنه ، سَعيد بن مِسجح ، قَبض مالى عاملُ الحجاز ، ونَفانى . فتبسّم عبدُ الملك وقال : قد وَضح عذرُ فتيان قُريش فى أن يُنفقوا عليك أموالهم . وأمَّنه ووصَله، وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه ولا يَعْرِض له بسوء .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لأسماء كثيرة » مكان « اسما كبيراً » .

أخبار ابن المَوْلَى

ولاؤه وصفته ومنزلته فى الشعر

هو محمد بن عبد الله بن مُسلم بن المَولى ، مولى الأَنصار ، ثم من بنى عمرو ابن عوف . شاعر متقدّم مُجيد بن مُخضرَمى الدَّولتين ومدّاحى أهلهما . قدِم على المهدىّ فمَدحه بعدّة قصائد ووَصله بصلاتٍ سنيّة ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة ، وكان مسكنُه بقُباء .

سئل عن ليلاه فأجاب

وذَكر عبدُ الملك بن عبد العَزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السّائب المَخزومىّ ، وعبيدُ الله بن مُسلم بنُ جندب ، وأَصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى متنكِّب قوساً[1] عربيّة ، فأنشدنا ابنُ المولى لنَفسه :

وأبكى فلا لَيلى بكتْ من صَبابةٍ ... إلىّ ولا ليلَى لذى الوُد تَبذُلُ
وأَخنع بالعُتبى إذا كنتُ مُذنباً ... وإنْ أذنبتْ كنتُ الذى يتنصّلُ

فقال له أبو السائب وعُبيدُ الله بن مُسلم بن جُندب : مَن ليلى هذه حتى نقودها لك ؟ فقال ابنُ المولى : والله ما هى إلا قَوْسى هذه سميتُها لَيلى .

مدح يزيد بن حاتم فأجازه

وقيل : وَفد ابنُ المَولى على يزيدَ بن حاتم ، فمَدَحه بقصيدته التى يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذى ... أضحى وليس له نَظيرُ
لو كان مثلَك آخرٌ ... ما كان فى الدُّنيا فَقير

فدعا بخازنه وقال : كم فى بيت مالى ؟ فقال : فيه من العَيْن والوَرِق[2] قيمةُ عشرين[3] ألف دينار . فقال : أدفعها إليه . ثم قال له : يا أخى ، المَعْذرة إلى الله وإليك ، والله لو أن فى مِلكى أكثرَ ما أحتجبتُه[4] عنك .

---

(١) تنكب القوس : ألقاها على منكبه . (٢) العين : الذهب . والورق : الفضة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بقية عشرون » . (٤) لم يرد هذا الفعل فى كتب اللغة متعديا .

هو ويزيد بن حاتم فى مصر

وقيل : كان ابنُ المَولى مدّاحاً لجعفر بن سُليمان ، وقُثَم بن العبّاس، الهاشميَّين ، ويزيدَ بن حاتم ، واستفرغ مدحَه فى يزيد ، فقال فيه قصيدتَه التى يقول فيها :

يا واحـدَ العرب الذى دانتْ له ... قَحطانُ قاطبـةً وسـاد نِزَارَا
إنّى لأَرجو إن لقيتُك سـالماً ... ألّا أُعالج بعـدَك الأَسـفارا
رِشْت النّدى[1] ولقـد تكسّر ريشُه ... فَعلا النّدى فوق البـلاد وطارا

ثم قَصده بها إلى مصر وأَنشده إياها ، فأعطاه حتى رَضى . ثم مرض ابنُ المَولى عنده مرضاً طويلا وثقُل حتى أشفَى[2] ، فلما أفاق من علّته ونَهض ، دَخل عليه يزيدُ بن حاتم مُتعرِّفاً خبرَه ، فقـال له : لوددتُ والله يا أبا عبـد الله ألّا تعالج بعدى الأسفار حقًّا ، ثم أَضعف له صِلتَه .

أعطاه يزيد ضيعتين

وحَكى ابنُ المَولى قال : كنتُ أَمدح يزيدَ بن حاتم من غير أن أَعرفه ولا ألقاه ، فلما ولّاه المَنصور مِصْر ، أَخذ على طريق المدينة . فلقيتُه فأنشدتُه ، وقد خَرج من مَسجد رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم إلى أن صار إلى مسجد الشَّجرة . فأَعطانى رِزْمَتَى[3] ثياب وعَشرة آلاف دينار ، فاشتريتُ بها ضياعاً تُغِلّ ألف دينار ، أقوم فى أدناها وأَصيح بقَيِّمى، فلا يسمعنى[4] وهو فى أقصاها .

حنينه إلى المدينة

وقيل : قَدم ابنُ المَولى العراقَ فى بَعض السِّنين ، فأَخفق وطـال مُقامه وغَرِض[5] به وتشوّق إلى المدينة ، فقال فى ذلك :

ذهب الرجالُ ولا أُحسّ رِجالَا ... وأَرى الإقامةَ بالعراق ضَـلالَا
وأرى المرجّى للعراق وأهـلـه ... ظمآن هاجرةٍ يؤمّـل آلا

(١) راش : جعل له ريشا . (٢) أشفى : أشرف على الموت .
(٣) الرزمة من الثياب : ما شد فى ثوب واحد .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يسمعنى » .
(٥) غرض : ضجر وقلق .

وطَربتُ إذ ذكر المَدينة ذا كرٌ ... يومَ الخميس فهاج[1] لى بَلْبالَا
فظللتُ أنظرُ فى السماء كأننّى ... أبغى بناحيـــة السَّماء هِلالا
طرباً إلى أهل الحجاز وتارةً ... أبكى بدَمع مُسْبَلٍ إســبالا

مدح المهدى فأجازه

وذُكر أنه قَدم ابنُ المولى على المهدىّ وقد مَدحه بقصيدته التى يقول فيها :

وما قارَع الأَعـــداء مثــلُ محمدٍ ... إذاالحربُ أبدت عن حُجول الكَواعب
فتًى ماجدُ الأعراق من آل هاشمٍ ... تَبَحْبح[2] منها فى الذُّرى والذَّوائب
أشمُّ من الرَّهط الذين كأنهم ... لدَى حِنْدس الظَّلماء زُهْر الكواكب
إذا ذُكرتْ يوماً مَناقبُ هاشم ... فإنكمُ منها بَخـــير المَناصب
ومَن عِيب فى أَخلاقه[3] وصِـفاته ... فما فى بنى العبّاس عَيْبٌ لعائب
وإنّ أَمــير المُؤمنين ورهطَـــه ... لأهلُ المَعالى من لُؤىّ بن غالب
أولئك أَوتاد البـــلاد ووارثوا الـنَّـبىّ بأمر الحقّ غـــير التَّكاذُب

ثم ذَكر أولادَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال :

وما نَقَمـــوا إلّا المودةَ منهمُ ... وأنْ غادروا فيهم جزيلَ المَواهب
وأنهمُ نالُـوا لهم بدمائهم ... شفاءَ النُّفوس من قَتيـل وهارب
وقامُـوا لهم دُون العِـدا وكفَوْهمُ ... بسُمْر القَنـا والمُرْهفـات القَواضب
وحامَوْا على[4] أحسـابهم وكَرائم ... حسانِ الوُجـوه واضحاتِ التّرائب
وإن أمـــيرَ المُؤمنين لعـائذٌ ... بإنعامـــه فيهم على كُل تائب
إذا ما دَنَوْا أدناهُمُ وإذا هَفـــوْا ... تجـاوز عنهم ناظراً فى العـواقب
شَفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يردوا[5] الرَّدى ... فكيف به فى واشجات[6] الأقارب

(١) البلبال : شدة الهم . (٢) تبحبح : تمكن .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ونصابه » مكان « وصفاته » . والنصاب : الأصل .
(٤) يريد «حاموا عن» فضمن . (٥) فى بعض أصول الأغانى : «يركبوا» مكان «يردوا» .
(٦) الواشجات : الصلات المتصلة .

فوصله المهدىُّ صلةً سَنِيَةً . وقَدم المدينةَ فأَنفق و بنَى دارَه ولَبس ثياباً فاخرة . ولم يزل كذلك مُدةً حتى ذهب ما جاء به .

ثم دخل على الحَسن بن زَيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، وكانت له عليهم وَظيفة فى كُل سنة ، فأنشده قولَه فيه يَمدحه : هوالحسن بن زيد

هاج شوقى تفرّقُ الجِـيرانِ وأعـترتْنى طوارقُ الأَحزانِ

يقول فيها :

ولو أنّ امرأً ينالُ خُلوداً بمحلٍّ ومَنْسب[1] ومَكان
أو ببَيتٍ ذُراه تَلصق بالنَّجْـ ـم قِراناً فى غـير بُرج قِران
أو بمجـد الحيـاةِ أو بسماحٍ أو بحلمٍ أوفَى على[2] ثَهـلان
أو بفَضل لنـالَه حَسَنُ الخَيْـ ـر بفضلِ الرَّسول ذى البُرهان
فضْلُه واضحٌ بفضْل أبى القا سم رهطِ اليقينِ والإيمـان
هم ذَوُوالنُّورِوالهُدَى ومَدى الأَمـ ـر وأَهلُ البرهان[3] والفُرقان
مَعْدِن الحقِّ والنبوَّة والعدْ ل إذا ما تَنـازع الخَصْمان
وابْنُ زَيدٍ إذا الرجال تَجارَوْا يوم حَفْـل وغايةٍ ورِهان
سـابقٌ مُغْلِق مُجـيز رِهانٍ وَرِث السَّبْق عن أَبيه[4] الهِجان

فلما أنشده إيّاها دَعى به خالياً ثم قال له : يا عاضّ كذا من أُمه ! إذا ماجئت إلى الحجاز تقول لى هذا ، و إذا ما مضيت إلى العراق تقول :

و إنّ أمير المُؤمنين وَرهطـه لأهلُ المَعالى من لُؤىّ بن غالبِ
أولئك أوتادُ البـلاد ووارثُوا النَّـ ـبىّ بأَمر الحقّ غَير التكاذُب

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ومنصب » . (٢) ثهلان : جبل بالعالية .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « والعرفان » مكان « والفرقان » .
(٤) مغلق : أى يوجب الخطر لنفسه . والهجان : الكريم الحسيب .

فقال : أتُنصفنى يابن رسول الله أم لا ؟ قال : بلى . قال : ألم أقُل :

* وإن أمير المُؤمنين ورَهْطه *

ألستم رهطه ؟ قال : فدع هذا ، ألم تَقْدِر أن ينفُق شعرُك ومديحُك إلّا بتهجين أهلى ، والطَّعنِ عليهم حيث تقول :

وما نَقموا إلّا المــودّة منهمُ ... وإن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهــم ... شِفاء النُّفوس من قَتيلٍ وهارب

فوجمَ ابنُ المولى وأطرق، ثم قال . يابن رسول الله ، إن الشاعر يقُول ويتقرّب بجُهده . ثم قام فخَرج من عنــده مُنكسراً . فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمل إليــه وظيفَته ويزيدَه مثلَها . ففَعل ذلك . فقال : والله لا أقبلهــا وهو علىَّ ساخطٌ ، فأمّا إن قَرنها بالرضى قبلتُها ، وأما إن أقام على أمره فأرُدّها عليــه . فعاد الرسولُ إلى الحسن فأخبره . فقال : قُل له : رضيتُ ، فاقْبلها . فقَبلها .

قدومه على يزيد ابن حاتم الأهواز ومدحه له

وقيل: لما انصرف يزيدُ بن حاتم المُهلَّبى من حَرب الأَزارقة[1]، وقد ظَفر ، خُلع عليه وعُقد له لواءٌ على كُور الأَهواز وسائر ما افْتتحه . فدخل عليه ابنُ المولى وقد مَدحه . فاستأذن فى الإنشاد ، فأذن له . فأنشده قصيدتَه التى أولها :

ألا يالَقومى هل لِمَــا فات مَطْلبُ ... وهل يُعْــذَرنْ ذو صَبْوة وهو أَشْيَبُ

ومنها :

يَحِنُّ إلى لَيْــلى وقــد شَطَّت النَّوى ... بليلَى كما حَنَّ اليراع[2] المُثقَّب
تقرَّبتُ منهــا[3] كى تُثيب فَزادنى ... بِعــاداً على بُعــدٍ إليها التقرُّب
فداويتُ وَجْدى باجتنــابٍ فلم يكُن ... شفاءًا لمــا أرجوه[4] منها التجنُّب

(١) الأزارقة : من الخوارج ، أصحاب نافع بن الأزرق .
(٢) اليراع : المزمار .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تقربت ليلى » والفعل غير معدى بنفسه .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « ألقاه » مكان « أرجوه » .

يقول فيها فى مَدحه :

وليـــلٍ خُدارِىّ [1] الرّواق جَشِمْتُه ... إذا هابه الأعـــداء لا أتهيَّبُ
لأظفَرَ يوماً من يزيد بن حاتم ... بجَبْـل جِوارٍ ذاك ما كنتُ أطلب
وصَـــعَّدنى هَمِّى وصَوَّب مَرةً ... وذو الهمّ يوماً مُصْعَدٌ ومُصوَّب
لأعرفَ ما آتِى فلم أَر مثـــلَه ... من الناس فيمن [2] حاز شرقٌ ومَغرب
أكَرَّ على جيشٍ وأعظم هَيبـــةً ... وأوهبَ فى جُودٍ لمـــا ليس يُوهب

ومنها :

كواكبُ دَجْن كُلَّما انقضَّ كوكبٌ ... بدَا منهمُ بَدْرٌ مُنِـــيرٌ وكوكب
وما زال إلحـاحُ الزَّمان عليهمُ ... بنائبـــةٍ كادت لها الأرض تخرَب
فلو أبقتِ الأيّامُ حيًّا نَفاسةً ... لأبقـــاهُ للجُود نابٌ ومِخلب
وكنتَ ليومَىْ نِعمة ونِكايةٍ ... كما فيهما للنَّاس كان المُهلَّب
ألَا حَبَّذا الأحيـاء منكمُ وحَبَّذا ... قُبورٌ بها موتاكمُ حين غُيِّبوا

فأمر له يزيدُ بن حاتم بعشرة آلاف دِرهم ، وفَرس بسَرجه ولجامه ، وخِلْعة ، وأقسم على من بحَضْرته من أهله أن يُجيزه كُلُّ واحد منهم بما أمكن . فانصرف بملء يديه .

استحسان عمرو ابن أبى عمرو لشعره

وقيل : كان عَمرو بن أبى عمرو يَستحسن قول ابن أبى المَولى :

حَيِّ المَنـازلَ قد بَلِينا ... أَقْوِيْنَ عن مَرِّ السِّنينا
وسـلِ الدِّيار لعلَّهـــا ... تُخبِرْكَ عن أُمِّ البَنينا
بانتْ وكُل قرينـــةٍ ... يوماً مُفـارِقةٌ قَرينـا
وأخُو الحياةِ من الحيا ... ةِ مُعـــالِجٌ غِلَظًا ولِينا

(١) خدارى : مظلم . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « فيما » مكان « فيمن » .

وترى المُوكَّل بالغَوا ... نى راكباً أبداً فُنونا
ومن البَليَّة أن تُدا ... نَ بما كرهتَ وأن تَدينا (١)
والمرء تُحرم نفسُه ... ما لا يزال به حَزينا
وتَراه يَجمع ما لَه ... جَمْعَ الحريص لوارِثينا
يسعَى بأفضلِ سَعْيه ... فيصيرُ ذاك لقَاعدينا
لم يُعطِ للنَّسب (٢) القَريـ ... ـبِ ولم يَجُد للأَبْعدينا
قد حلّ منزلَه الذَّميـ ... ـمَ وفارق المُتنصِّحينا

مدحه للمهدى بعد ما ولى

وقيل : لمّا ولى المهدىُّ الخلافة بعد أبيه المنصور حَجَّ وفرّق فى قُريش والأَنصار وسائر الناس أموالاً عظيمة ، فحسُنت أحوالُ الناس بعد جَهد أَصابهم من أيّام أبيه ، فكانت سَنةُ ولايته سنةَ خصْب ورخَص ، فأحبَّه الناسُ وتبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهدىُّ ! وهذا ابنُ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسمِّيه ! فلما دخل المدينةَ تلقَّوه ودعَوا له وأَثنوا عليه ومَدحه الشُّعراء . فمدَّ عينَه فى الناس فرأى ابنَ المولى ، فأَمر بتقْريبه ، فقُرِّب منه . فقال : هات يا مولى الأنصار ما عندك . فأَنشده قولَه فيه :

يا ليلَ لا تَبْخلِي يا ليلَ بالزَّاد ... وأُشفِي بذلك داءَ الحائم الصَّادِى
وأَنْجِزى عِدَةً كانت لنا أَملاً ... قد جاء ميعادُها من بعدِ ميعاد
ما ضرَّه غيرُ أَن أَبدى مَودَّته ... إنَّ المُحبَّ هواه ظاهرٌ بادى

يقول فيها :

تَطوى البلادَ إلى جَمٍّ منافعُه ... فَعَّالِ خَيْرٍ لِفعْل الخَير عَوَّاد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولن » مكان « وأن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ذا النسب » .

للمُجْتدين[1] إليه من مَنافعه خيرٌ يَروح وخيرٌ باكرٌ غادى
أَغْنَى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَنْ بالمَسْجدين بإسعاف[2] وإحفاد

حتى أتى على آخرها. فأمر له بعشرة آلاف دِرهم وكُسوة، وأمر له بأن يُجرَى له ولعياله ما يكفيهم، وألحقهم فِي شرف العطاء.

شعره الذى فيه الغنـــاء

والشِّعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخباره، هو:

سَلَا دار لَيْلَى هل تُبين فتنطقُ وأنَّى تَرُدّ القَولَ بيداءُ سَمْلَقُ
وأنَّى ترُد القــولَ دارٌ كأنها لطُول بِلاها والتقــادمِ مُهْرَق

وهذا البيتان من أول قصيدة يَمدح بها ابنُ المولى المهدىَّ، يقول فيها:

و إنسانُ عَيْنى فى دوائرِ لُجّــة من الدَّمع يبدو تارةً ثم يَغْرَق

ومنها:

فلا تَجْزعنْ للبَين كُلُّ جماعةٍ وجَدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّق
وخُذ بالتعزِّى كُلُّ ماأنت لابسٌ جــديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِق
فصــــبرُ الفتَى عما تولَّى فإنه من الأمر أولى بالسَّداد وأوْفق

ومنها:

وقال خَليــلى والبُكا لىَ غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّق
وقد طال تَوْقافِى أُكفكف عَبْرةً على دِمْنةٍ كادتْ لها النفسُ تَزْهَق

(١) فى بعض أصول الأغانى: «للمهتدين» مكان «للمجتدين».
(٢) إحفاد: إسراع فى مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.

أخبار عَطَرّد

ولاؤه وشيء عنه

هو مَولى الأَنصار . ثم مولى بنى عمرو بن عَوف . وكان يَنْزل قُبَاء . وكان جَميلَ الوجه ، حَسنَ الغِناء ، طيِّب الصوت ، جيِّد الصَّنْعة ، حسنَ الزِّىّ والمُروءة . وكان فَقيهاً قارئاً للقُرآن ، يُغنِّى مُرتجلاً . أدرك دولةَ بنى أُميَّـة . و بَقى إلى أيّام الرَّشيد . وكان مُعدَّلَ الشهادة بالمَدينة .

غناؤه لعبـاد ابن سلمة

وحُكى أنّ سَلمة بن عبَّـاد وَلِى القضاءَ بالبَصرة ، فقَصد اُبنُـه عبَّادُ بن سَلمة منزلَ عَطَرّد ، وكان قد قَدِم البَصرةَ قاصداً آل سُليمان بن علىّ وأقام معهم . فأتى عبّادٌ بابَه ليلاً فدقّ عليه ومعـه جماعةٌ من أصحاب القَلانس . فخَرج عَطَرّدٌ إليه ، فلمّا رآه ومَن معه فَزِع . فقال : لا تُرَع :

إنِّى قصـدتُ إليك من أَهلى ... فى حاجةٍ يأنى لهـا مِثلِى

قال : وما هى ؟ أصلحك الله ! فقال :

لا طالباً شيئاً إليكَ سِـوَى ... «حَىِّ الحُمُولَ بجانب[1] العَزْلِ»

فقال : أنزلُوا على بركة الله . فلم يزل يُغنِّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا . والذى طلبوا أن يُغنِّيهم فيه شعرُ اُمرىء القيس الكِندىّ ، وهو :

حَىِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ ... إذ لا يُوافق شَكْلُها شَكْلِى

الله أنجحُ ما طلبتَ به ... والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْل

إنِّى بحبلك واصلٌ حَبْلى ... و بريش نَبْلك رائشٌ نبْلى

وشَمائلِى ما قد علمت وما ... نَبحتْ كلابُك طارقاً مِثلى

---

(١) العزل : موضع فى ديار قيس .

هو والوليد بن يزيد حين استقدمه

وذُكر أنه لمّا ولى الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك الخلافةَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بإشخاص عَطَرَّد المُغنِّى إليه . قال عَطرَّد : فأَقْرأنى العاملُ الكتابَ وزَوَّدنى بنَفقة وأَشخصنى إليه . فأُدخلت عليه وهو جالسٌ فى قصره على شَفير بِرْكة مُرصَّصةٍ مملوءة خمراً ، ليست بالكبيرة ولكنها يَدُور الرجلُ فيها سِباحةً ، فوالله ما تَركنى أُسلِّم حتى قال : عَطَرد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لقد كنتُ إليك مُشتاقاً يا أبا هارون ، غنِّنى :

* حَىّ الحُمول بجانب العَزْل * الأبيات

قال : فغنَّيتُه إيّاه ، فوالله ما أَتممتُه حتى شقّ حُلَّةَ وَشْى كانت عليه لا أدرى كم قِيمتُها ، فتجرّد منها كما ولدتْه أُمه ، وألقاها نِصفين ورَمى بنفسه فى البِركة ، فنَهِل فيها حتى تبيَّنْتُ — عَلم الله — نُقصانها ، وأُخرج منها كالميّت سُكْراً ، فأُضجع وغُطِّى ، وأَخذتُ الحُلّة وقمْت . فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذها . فانصرفتُ إلى منزلى متعجِّباً مما رأيتُ من ظَرْفه وفِعله . فلما كان من الغَد جاءنى رسولُه فى مثل الوقت فأَحضرنى . فلما دخلتُ عليه قال : يا عَطَرّد . قلت : لَبّيك يا أمير المؤمنين . قال : غنِّى :

أَيذهبُ عُمرى هكذا لم أَنَلْ به ... مَجَالِسَ تَشفى قَرْح قَلبى من الوَجْدِ
وقالوا تَداوَ إنّ فى الطبِّ راحةً ... فعلّلتُ نفسى بالدواء فلم يُجْدى

فغنَّيتُه إيّاه . فشَقّ حُلة وَشْى كانت عليه ، كانت تَلتمع عليه بالذَّهب ٱلتماعاً ، احتقرتُ والله الأُولى عندها . ثم ألقى نفسه فى البركة ، فنَهل فيها حتى تبيَّنتُ — علم الله — نُقصانها ، وأُخرج كالميّت سُكراً . فأُلقى وغُطِّى ونام . وأخذتُ الحُلة ، فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذها ، وٱنصرفتُ . فلما كان اليومُ الثالث جاءنى رسولُه . فدخلت إليه وهو فى بَهْو قد أُلقيت سُتوره ، فكلّمنى من

وراء السُّتور وقال : يا عَطَرَّد . قلتُ : لَبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : كأنى بك قد أتيتَ المدينـة فقُمتَ فى مجالسها ومَحافلها وقعـدتَ وقلتَ : دعانى أميرُ المؤمنين فدخلتُ إليه، فاُقترح علىّ، فغنيتُه فأطربتُه ، فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبه، وفَعل وفَعل، والله يا بن الزَّانية ، لئن تحرَّكتْ شَفتاك بشىء مما جَرى فبلَغنى لأَضربنّ ما فيـه عَيناك . ياغُلام ، أعطه ألفَ دينار . خُذها واُنصرف إلى المدينة . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تَقبيل يده و يُزوِّدنى نظرةً منه وأُغنِّيه صوتاً ! فقال : لاحاجةَ بى ولا بك إلى ذلك ، فاُنصرف . قال عَطَرّد : فخرجتُ من عنده وما أعلم أنّى ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مَضت من دولة بنى العبَّاس[1] مُدة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بنى هاشم » .

أخبار الحارث بن خالد المخزومى

نسبه

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤى بن غالب . وأُمه فاطمة بنت أبى سعيد أبن الحارث بن هشام . وأُمها بنت أبى جهل بن هشام .

حديث مقامرة أبى لهب للعاص ابن هشام

وكان العاص بن هشام قامَر أبا لَهَب بن عبد المُطلب فى عشر من الإبل فقمَره ، ثم فى عشر فقمَره ، ثم فى عشر فقمَره ، إلى أن خَلعه من ماله فلم يَبق له شىء . فقال : إنى أرى القِدَاح قد حالفتْك يا بن عبد المُطلب ، فهلّم أقامرك . فأيُّنا قمَر كان عبداً لصاحبه . قال : أفعل . ففعل . فقمَره أبو لهب ، فكره أن يسترقّه فتَغضبَ بنو مخزوم ، فمَشى إليهم وقال : أفتدُوه منّى بعشرٍ من الإبل . فقالوا : لا والله ولا بوَبَرة . فأسترقّه . فكان يَرْعى له إبلًا إلى أن خرج المُشركون إلى بَدْر — وقيل : أسترقّه وأجلسه قَيْناً يعمل الحديدَ — فلمّا خرج المُشركون إلى بدر كان مَن لم يخرج أخرج بديلاً ، وكان أبو لَهَب عليلاً فأخرجه وقَعد ، على أنه إن عاد أعتقه . فحضر بدراً وقتله علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ .

مذهبه فى الغناء وشىء عنه

وكان الحارث بن خالد أحدَ شعراء قُريش المَعدودين الغَزَليِّين ، وكان يذهب مذهبَ عُمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغَزل إلى مديح ولا هجاء . وكان يهوَى عائشةَ بنت طلحة بن عُبيد الله ويَنْسُب بها . وولّاه عبدُ الملك بنُ مروان مكةَ . وكان ذا قَدْر وخَطر فى قُريش .

أخواه وشىء عنهما

وأخوه عِكرمة بن خالد مُحَدِّث جليل القدر من وُجوه الناس ، وقد رَوى عن جماعة من الصحابة . وله أخ يقال له : عبد الرحمن بن خالد ، شاعر ، وهو الذى يقول :

رَحل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ وغدا لِطيَّةِ ذاهبٍ[1] مُتحمِّلِ
ولّى بلا ذمٍّ وغادَر بعدَه شَيباً أقام مكانَه فى المَنزل
ليت الشبابَ ثَوى لدينا حِقْبةً قبلَ المَشيب وليتَه لم يَعْجَل
فنُصِيبَ من لذّاته ونَعيمه كالعَهد إذ هو فى الزّمان الأوّل

من شعراء قريش الخمسة

وقيل : كانت العرب تُفضِّل قريشاً فى كلّ شىء إلّا الشِّعر ، فلما نَجم فيهم عُمر بن أبى ربيعة ، والحارثُ بن خالد المخزوميَّان ، والعَرْجىّ ، وأبو دَهْبَل ، وعبد الله[2] بن قَيس ، أقرّت لها العربُ بالشِّعر أيضاً .

هو وابن عمر وقد أنشده

وذُكر أنّ الحارث بن خالد أنشد عبدَ الله بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه قولَه :

إنِّى وما نَحروا غداةَ مِنًى عند الجمار تَؤُودها[3] العُقُلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مَساكنها سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلو
فيكاد يَعرفها الخَبيرُ بها ويَرُدّه الإقواء[4] والمَحْل

فقال له ابنُ عُمر : قُل : إن شاء الله . قال : إذن يَفْسُد الشعر يا عَم . فقال له : يا بن أخى ، إنّه لا خيرَ فى شىء يُفسده « إن شاء الله » .

تمثل أشعب بشعره فى تفضيل الزبيريين على العلويين

وقيل : دَخل أشعبُ مسجدَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فجعل يطُوف[5] الحِلَق . فقيل له : ما تُريد ؟ قال : أستَفْتى فى مسألة . فبينا هو كذلك إذ مَرَّ برجل من ولد الزُّبير ، وهو مُستند إلى سارية و بين يديه رجل عَلَوىّ ، فخَرج أشعبُ مبادراً ، فقال له الذى سأله عن دُخوله وتَطوافه : أوجدت من أفتاك فى مسألتك ؟ قال :

---

(١) الطية : المنتأى ، والقصد ، والنية . والمتحمل : الراحل .
(٢) فى بعض الأصول : « عبيد الله » . وذكر البغدادى أن لقيس ابنين : عبيد الله ، وعبد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما .
(٣) تؤودها : تثقلها . والعقل : جمع عقال .
(٤) الإقواء : المحل .
(٥) الحلق : جمع حلقة ، وهى دائرة القوم وحلقتهم ، جمع نادر .

لا ، ولكن علمتُ ما هو خيرٌ لى منها . قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارثُ بن خالد :

قد بُدِّلت أعلَى مَساكنها سُفْلًا وأصبح سُفْلها يَعْلُو

رأيتُ رجلًا من ولد الزُّبير جالساً فى الصدر ، ورجلاً من ولد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه جالساً بين يديه ، فكفانى هذا عَجباً وانصرفتُ .

كان مروانى الهوى ووفوده على عبد الملك وتوليه مكة وحديثه مع بنت طلحة

وقيل : إن بنى مَخزوم كُلهم كان هواهم مع ابن الزُّبير إلا الحارثَ بن خالد ، فإنّ هواه كان مع بنى مَروان . فلما قُتل عبد الله بن الزُّبير وصَفا الأمرُ لعبد الملك ابن مَروان ، وفَد إليه الحارثُ فى دَين كان عليه ، وذلك فى سنة خَمس وسبعين . فلما انصرف عبدُ الملك رحل معه الحارثُ إلى دمشق ، فظهرتْ له منه جَفوة ، فأقام ببابه شهراً لا يَصل إليه . فانصرف عنه وقال فيه :

صَحِبتُك إذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ فلما انجلتْ قطَّعتُ نفسى ألومُهَا
وما بِى وإن أقْصَيتنى من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسى إلى مَن يَضيمُها
عَطفتُ عليك النفسَ حتى كأنما بكفَّيْكَ بُؤسى أو إليك نَعيمُها

وبلغ عبدَ الملك خبرُه ، وأُنشد الشِّعر ، فأرسل إليه مَن ردّه مِن طريقه . فلما دَخل عليه قال له : يا حار[1] ، أخبرنى عنك : هل رأيتَ عليك فى المُقام ببابى غَضاضةً أو فى قَصدى دناءةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : فما حَملك على ما قلتَ وفعلتَ ؟ قال : جَفوةٌ ظهرتْ لى وكنتُ حقيقاً بغيرها . قال : فاختَرْ : إن شئتَ أعطيتُك مائة ألف دِرهم ، أو قضيتُ عنك دَيْنَك ، أو وليتُك مكّة سنةً ؟ قال : بل تُولِّينى مكة . فولاه إيّاها . فحجّ بالناس وحجّت عائشة بنت طلحة ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أخِّر الصلاة حتى أفرُغَ من طَوافى . فأمر

(١) أى : يا حارث ، فرخم .

المُؤذِّنين فأَخّروا إقامة الصلاة حتى فَرغت من طوافها . وجعل الناسُ يَصيحون ويضجّون . ثم أُقيمت الصلاةُ وصلّى بالناس . وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فِعله وأَعظموه . وبلغ عبدَ الملك فعزَله ، وكتب إليه يؤنِّبه فيما فعله . فقال : ما أهونَ واللهِ غضبَه عليّ إذا رضيتْ . والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخرتُ الصلاة إلى الليل . فلما قضتْ حجّها أرسل إليها : يا بنة عَمّ ، ألِمِّى بنا أو عِدينا مجلساً نتحدثْ فيه . فقالت : فى غدٍ أفعل ذلك . ثم رحلتْ من ليلتها . فقال الحارث فيها:

ما ضَرَّكم لو قلتُم سَدَداً ... إنّ المَطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفَتْ ... لسنا على الأيام نَجْحدها
لو تَمَّمت أسبابَ نِعمتها ... تَمَّت بذلك عندنا يَدُها

الغريض بينه وبين بنت طلحة

وقيل : لما قال الحارث هذه الأبياتَ بعثَ بها مع الغَريض ، فلَحقها[1] بعُسْفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث وفيه هذه الأبيات . فلما قرأتْها قالت : ما يَدَع الحارثُ باطلَه ! ثم قالت للغريض : هل أحدثْت شيئاً ؟ قال : نعم ، فأُسمعى . ثم أندفع يُغنّى فى هذا الشعر :

زَعمُوا بأنَّ البَيْن بعد غدٍ ... والقلبُ ممّا أحدثوا يَجِفُ
والعينُ منذ أُجِدّ بَيْنَهُم ... مثلُ الجُمان دُموعُها تَكِف
تَشكو ونَشكوا ما ألمّ[2] بنا ... كُلٌّ بوشْك البَيْن مُعترف

فأمرتْ له بخمسة آلاف دِرْهم . ثم قالت له : غنِّنى فى غير شعره . فغنّاها بشعر عُمر بن أبى ربيعة :

أجمعتْ خُلّتى مع الفَجر[3] بَيْنَا ... جَلّل الله ذلك الوَجهَ زَيْنَا

(١) عسفان : منهلة بين الجحفة ومكة . وقيل : هى قرية على مرحلتين من مكة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما أشت » أى ما فرق .
(٣) أجمعت : اعتزمت . والخلة : الصديقة . والبين : الفراق .

أجمعتْ بينَهـا ولم نَكُ منهـا لذةَ العيش والشّباب قَضَيْنا
فتولّتْ حُمولُهـا واسْتقلّت لم نَنَلْ طائلًا ولم نُقْضَ دَينا
ولقـد قلتُ يومَ مكة لمّا أرسلتْ تقرأ السلامَ علَيْنا
أنعم اللهُ بالرّسول الذى أَرْ سَلْتِ والمُرْسِلِ الرِّسالةَ عَيْنا

فضحكتْ ثم قالت : وأنت يا غَريض ! فأنعم الله بك عَيْناً ! وأَنعمْ بأبن أبى ربيعة عَيناً ! لقد تلطّفتَ حتى أديت إلينا رسالته ، وإنّ وفاءك له لمّما يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك .

نتمة حديث الغريض مع عاتكة بنت يزيد

وقد كان عُمر سأل الغَريض أن يُغنّيها هـذا الصوتَ ، لأنه قد تَرك ذِكرها لمّا غَضبت بنو تَميم من ذلك ، فلم يُحبّ التّصريح بها وكَرِه إغفالَ ذكرها ، وقال له عمر : إنْ أبلغتَها هـذه الأبيات فى غناء فلَك خمسةُ آلاف درهم . فوفى له بها ، وأمرت له عائشة بخَمسة آلاف درهم أُخرى . فانصرف الغريضُ من عنـدها ، فلقى عاتكةَ بنت يزيد بن مُعاوية بن أبى سُفيان ، زوجةَ عبـد الملك بن مروان ، وقد كانت حجّت فى تلك السنة ، فقالت لها جَواريها : هـذا الغَريض . فقالت لهنّ : علىّ به . فجِئْن به إليها . قال الغريض : فلمّا دخلتُ وسلّمتُ ردّت وسألتنى عن الخبر . فاقتصَصْتُه عليها . فقالت : غنّنى بما غَنّيتَها به . ففعلتُ . فلم أرها تَهشّ لذلك . فغنّيتُها مُعرِّضاً بها ومذكّراً بنفسى فى شـعر مُرّة بن مَحْـكان السّعدى يُخاطب امرأته ، وقد نَزل به أضياف :

أقول والضّيفُ مَخشىٌّ[1] ذِمامَتُـه على الـكريم وحَقُّ الضّيف قد وَجبا
يا ربّـةَ البيتِ قُومى غيرَ صـاغرةٍ ضُمّى إليـك رِحالَ القوم والقِرَبا
فى ليـلةٍ من جُمادى ذات أنديةٍ لا يُبصر الـكلبُ فى ظَلمائها الطُّنُبا
لا يَنبح الـكلبُ فيهـا غيرَ واحدةٍ حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذَّنبـا

(١) الذمامة ، بالكسر والفتح : العهد والذمة .

فقالت ، وهى مُتبسِّمة : نعم قد وجَب حقُّك يا غَريض ، فغَنِّنى . فغنَّيتُها :

يا دهرُ قــد أكثرتَ فَجْعتنا بسَراتنا ووقَرْتَ[1] فى العَظْمِ
وسَـلَبْتنا ما كنتَ[2] مُخْلِفَه يا دهرُ ما أنصفتَ فى الحُكْمِ
لو كان لى قِرْنٌ أُناضـــله ما طاش عنــد حَفِيظةٍ سَهْمى
أو كان يُعطِى النَّصْف[3] قلتُ له أحرزتَ قِسْمك[4] فالهُ عن قسْمى

فقالت له : نُعطيك النِّصْف ولا يَطيش[5] سهمُك عندنا ، ويحقّ[6] لك قِسمك . وأمرت له بخَمسة آلاف درهم وثياب وغير ذلك من الألطاف . فأتيتُ الحارثَ بن خالد وقصصتُ عليه القصةَ ، فأَمر لى بمثل ما أمرَتا به جميعاً . وأتيتُ ابن أبى ربيعة فأعلمتُه بما جَرى ، فأَمر لى بمثل ذلك . فما انصرف أحدٌ من الموسم بمثل الذى انصرفتُ به ، وبنَظْرة من عائشة ونَظرة من عاتكة ، وهما أجلُّ نساء عالَمِهما .

هو ومكى حمله رسالة إلى بنت طلحة

وقيل : قدم المدينةَ قادمٌ من مكة فدَخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجلُ ؟ فقال : من مكَّة . فقالت له : فما فَعل الأعرابىّ ؟ فلم يفهم ما أرادتْ . فلمّا عاد إلى مكة دَخل إلى الحارث بن خالد فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من المدينــة . قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم . قال : فعمّاذا سألَتْك ؟ قال : قالت لى : ما فعل الأعرابىّ ؟ فقال له الحارث : فعُد إليها

(١) وقر : صدع . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « مالست » مكان « ما كنت » .
(٣) النصف ، مثلثة : الانتصاف .
(٤) القسم . بالكسر : النصيب والحظة . والذى فى بعض أصول الأغانى : « سهمك ... سهمى » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « ولا يضيع » .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « ونجزل » .

ولك هذه الحلة والراحلة ونفقتك لطريقك ، وأدفع إليها هذه الرقعة . وكتب إليها فيها :

مَن كان يَسأل عنّا أين منزلُنا فالأقحوانةُ منّا منزلٌ[1] قَمَنُ
إذ نَلبس العيشَ صفواً مايُكدِّره طَعْنُ الوُشاة ولا يَذْبو بنا الزَّمن
(*)ليت الهَوى لم يُقرِّبنى إليك ولم أعرفْك إذ كان حظّى منكم الحَزَن

(١) الأقحوانة : موضع قرب مكة . وقمن : خليق .

(*) تبدو أخبار الحارث كأنها مقطوعة : فهى كما أوردها أبو الفرج تزيد كثيراً . ولم يختم ابن واصل الترجمة بما عودنا عنه من ذكر الشعر الذى فيه الغناء .